﴿وَأُمۡلِي لَهُمۡۚ إِنَّ كَيۡدِي مَتِينٞ ١٨٣﴾ [الأعراف: 183]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

تدبيرُ اللهِ المحكمُ، يَستلزمُ اقترانَ الإمهالِ، قبلَ إنزالِ العقوبةِ في المآلِ

بعد أن ذكرَ اللّه حُكمَه وسُنّتَه في المكذِّبين بقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَنَسۡتَدۡرِجُهُم مِّنۡ حَيۡثُ لَا يَعۡلَمُونَ﴾، أتْبعَه بما يقترنُ به وهو الإملاءُ والتّأخيرُ وإطالةُ العمُرِ، حتّى تزدادَ حريّةُ حركتِهم في الحياة، لإقامةِ الحُجّةِ الدّامغةِ عليهم.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿وَأُمۡلِي﴾: من (ملي) الميمُ واللّام والحرفُ المعتلّ كلمةٌ واحدةٌ وهي الزّمنُ الطّويلُ، وأقام مَلِيًّا: أي دهرًا طويلًا، والملاوَةُ بالكسر والفتح والضَّمّ منَ الدَّهر وهي الحينُ، والإملاءُ: الإمهالُ والتّأخيرُ وإطالةُ العمُرِ[1].

ومعنى ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَنَسۡتَدۡرِجُهُم مِّنۡ حَيۡثُ لَا يَعۡلَمُونَ﴾: أؤخِّرُهم وأُمهلُهم؛ فلا يأخذُهم سُبحانَه مرّةً واحدةً، بل يمدُّ لهم في الزّمن ويُدنيهم منَ العذاب شيئًا فشيئًا[2].

2) ﴿كَيۡدِي﴾: أصلُ (كَيْد) يدلُّ على معالجةٍ لِشَيءٍ بِشِدَّةٍ، والكيدُ: ضربٌ منَ الاحتيالِ، وقد يكونُ مَذمومًا وقد يكون ممدوحًا، وإن كان يُستعمَلُ في المذموم أكثَرَ، والكيدُ: التّدبيرُ المحكَمُ الشّديدُ وتنفيذُه، ويُسمّون المكرَ كيدًا[3].

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة، والرّاغب، المفردات، وجبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (ملي).
(2) ابن جرير الطبري، تفسير الطبري جامع البيان: 288/13، والمراغيّ، تفسير المراغي: 120/9.
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة، والرّاغب، المفردات، وجبل، المعجم الاشتقاقي المؤصّل: (كيد)، ولا تُنسب صفةُ (الكيد) إلى الله على وجه الإطلاق وإنما تُقيد بما هو كيدٌ بحقٍّ؛ وهو الكيدُ بالكافرين والكيد بالظالمين والكيدُ بالماكرين ونحوهم، فهي صفةُ كمالٍ إذا كانت في مقابلة من يفعلون ذلك. يراجع: ابن عثيمين، شرح العقيدة الواسطية، ص: 217 - 218.

والمعنى هنا: (إنَّ مَكْرِي وأَخْذي لهم شديدٌ)، وسمّاه كيْدًا؛ لأنَّ ظاهرَه إحسانٌ وباطنَه خِذلانٌ، فهو أخذٌ شديدٌ على غِرّةٍ[1].

3) ﴿مَتِينٌ﴾: يقال: مَتُنَ يَمْتُنُ مَتانةً، أي: قَوِيَ، وأصلُ (متن) يدلُّ على صلابةٍ في الشَّيءِ مع امتدادٍ وطولٍ، ومنه المَتْنُ، وهو الوسَطُ؛ لأنّه أقوى ما في الحيوان[2].

ومعنى ﴿مَتِينٌ﴾ هنا: قويٌّ شديدٌ، لا يُمكن لأحدٍ قطعُه، ولا انفلاتَ منه للمكيدِ[3].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

إمْـهـالُ اللـهِ للمكذِّبين ظاهرُه إحسانٌ، وباطنُه خِذْلان

من سُنّةِ الله أنه لا يأخذُ المكذِّبين بآياته بمجرّدِ تكْذيبِهم - فهم لا يفوتونَه ولا يُعجزونه -، بل يُمهلُهم ويُطيلُ لهم مُدّةَ عُمُرِهم ليَختبرَهم بالآياتِ الدّالّةِ عليه، فيُزيّنُ لهم سُوءَ عملِهم، ويُغدقُ عليهم الرّزقَ، حتى إذا تمادَوْا في شرِّهم ومعاصِيهم، وبلغُوا الغايةَ التي كُتِبَتْ لهم منَ الإمهالِ، ولم تَهدِهِمُ النّعمةُ، ولم يَحُسّوا بشُكرِها أخذَهم اللّهُ تعالى من حيثُ لا يحتسِبون؛ وذلك من تمامِ استدراجِ الله إياهم[4].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

معنَى (الواو) في الآيةِ:

في الـعـطْـفِ تـهـديـدٌ، وفي الاسْتِئنافِ تقريرٌ

الواوُ في قوله تعالى: ﴿وَأُمْلِي لَهُمْۚ﴾ إمّا أن تكونَ حرفَ عطْفٍ: عطفتِ الآيةَ على قوله: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم﴾، فشاركتْها في الدّخول تحت حُكْمِ الاستقبال، أي: وسأُملِي لهم[5].

(1) البيضاوي، أنوار التنزيل: 43/3، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 298/3.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة، والرّاغب، المفردات، وجبل، المعجم الاشتقاقي: (متن).
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 192/9، والبقاعيّ، نظم الدرر: 179/8.
(4) ابن جرير، جامع البيان: 287/13، والفخر الرّازيّ، مفاتيح الغيب: 419/15.
(5) ابن عاشور، التّحرير والتنّوير: 192/9.

أو أنَّها عطفٌ ولكنْ غيرُ داخلٍ في حكْمِ السّين؛ لِمَا أنَّ الإملاءَ الّذي هو عبارةٌ عنِ الإمهالِ والإطالةِ، ليس منَ الأمورِ التّدريجيّةِ كالاسْتدراجِ الحاصلِ في نفسِه شيئًا فشيئًا، بل هو فعلٌ يحصلُ دُفعةً[1]، ويُلوّحُ بذلك تغييرُ التّعبيرِ بتوحيدِ الضّميرِ، أي لم يقلْ: (سنُملي لهم)[2]، أو أنّ الواوَ للاستئناف، أي: (وأنا أملي لهم)[3].

بَلاغةُ الالْتفاتِ من ضميرِ التّكلُّمِ بالجمْعِ، إلى ضميرِ التّكلُّمِ بالمفردِ:

التّلْوينُ في الخطابِ، منَ البيانِ المُفصِحِ الجذّابِ

خرج السِّياقُ من ضميرِ التّكلُّمِ بنون العظَمةِ ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم﴾ إلى ضميرِ التّكلّمِ بالمفردِ ﴿وَأُمْلِي لَهُمْ﴾؛ تلوينًا في الخطاب، أي: تَفنّنًا في الفصاحةِ وتنويعًا في الكلام، وبعضُ المفسّرين عدَّه شبيهًا بالالتفاتِ؛ لأنّ جهةَ الكلامِ، وهي التكلُّمُ لم تتغيّرْ، والالتفاتُ يكونُ من جهة لأخرَى من جهاتِ الكلامِ الثّلاثِ[4]، والرّاجحُ هو التّفنّنُ؛ فبابه أوسعُ منَ الالتفات، "والمغايرةُ بين فعْلَيْ (نستدرج) و(أملي) في كون ثانيهما بهمزةِ المتكلِّم، وأوّلهما بنون العظمةِ مُغايرةٌ اقتضتْها الفصاحةُ من جهةِ ثقَلِ الهمزة بين حرفيْن متماثلَيْن في النُّطقِ في ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم﴾، وللتّفنّنِ والاكتفاءِ بحصولِ معنى التّعظيمِ الأوّلِ"[5]، وهذا التّفنّنُ يُنبئُ عن مزيدِ الاعتناءِ بمضمونِ الكلامِ لابتنائه على تجديدِ القصّةِ والعزيمةِ، وجعلَه غيرُ واحدٍ داخلًا في حُكمِها[6]، و"لأنَّ الاستدراجَ يَكونُ بواسطةٍ وبغيرِها، فَكَأنَّهُ قالَ: سَأستَدرجُهم بنَفسي من غيرِ واسطةٍ تارَةً، وبمَن أُتيحَ لَهُمُ النِّعَمُ على يَدِهِ من عَبيدِي وجُنُودِي أُخرى؛ وأمّا الإملاءُ وهو تطويلُ الأجلِ فَلا يُتصَوَّرُ أنْ يَكونَ إلّا مِنَ اللّهِ تعالى"[7].

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 3/298.
(2) الآلوسيّ، روح المعاني: 5/118.
(3) الآلوسيّ، روح المعاني: 5/118.
(4) الآلوسيّ، روح المعاني: 5/118.
(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 9/192.
(6) الآلوسيّ، روح المعاني: 5/118.
(7) البقاعي، نظم الدرر: 8/179.

بَلاغةُ التّذْيِيلِ التّعليليِّ التّأكيديِّ في ختامِ الآيةِ:

كيدُ الله القويُّ تدبيرٌ خفيٌّ، لا يملكُ المكوُرُ به دفعَه ولا توقِّيَه

ذيّلَ البيانُ الإلهيُّ بهذه الجُملةِ: ﴿إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ﴾؛ ليزدادَ بها المعنى اتّضاحًا، تأكيدًا وتعليلًا؛ فمن معاني (إنَّ) التأكيدُ والتّعليلُ، وقولُه تعالى: ﴿إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ﴾ جملةٌ مُقرِّرةٌ لما قبْلَها منَ الاسْتدراج والإملاءِ، ومُؤكِّدةٌ له؛ فهو سُنّةُ الله التي لا تتخلَّفُ[1]، وهي كذلك في موضعِ العِلَّةِ للجُملَتين قبْلَها: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم﴾، ﴿وَأُمْلِى لَهُمْ﴾؛ لأنَّ الاستدراجَ والإملاءَ ضَربٌ مِن الكَيدِ، وكيدُ الله متين، أي: قويٌّ لا انفلاتَ منه للمكيدِ، فيفيدُ أنّه استدراجٌ إلى ما يكرهونَه، وتأجيلٌ لهم إلى حلولِ ما يكرهونَه، والمعنى: يكون ذلك الاستدراجُ وذلك الإملاءُ بالغَيْن ما أردْناه بهم؛ لأنّ كيدِي قويٌّ[2].

❁ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

الإملاءُ والإمْهالُ:

الإملاءُ يدلُّ على الامْتِدادِ دهْرًا طويلًا، والإمْهالُ إنظارٌ برِفْقٍ

أمْلِي: من (مَلِيَ) وتدلُّ على امتدادٍ في شيءٍ زمانٍ أو غيرِه، أقام مَلِيًّا: أي دهرًا طويلًا، والملاوَةُ بالكسر والفتح والضَّمِّ منَ الدّهر؛ وهي الحينُ، والإملاءُ: الإمهالُ والتّأخيرُ وإطالةُ العُمُرِ[3].

الإمهالُ: من المهْلِ: التُّؤَدةُ والسُّكونُ والامتدادُ؛ ويؤخذُ من هذه المعاني معنَى التّراخِي والتّباطُؤِ، وأمْهَله: أنْظَره ورفَقَ به، ولم يَعْجَلْ عليه[4] والإملاءُ والإمهالُ متقاربان دَلاليًّا؛ يشتركان في معنى: الامتدادِ والتّأخيرِ والإطالةِ، ويتميّزُ الإملاءُ بالدّلالةِ على الدّهرِ الطّويلِ أي: (إطالةُ المدّة)، ويتميّزُ الإمهالُ بالتُّؤَدةِ وعدمِ العَجلةِ والإنظارِ برِفْقٍ.

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 298/3.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 192/9.
(3) ابن فارس، المقاييس: (ملي)، والرّاغب، المفردات، وجبل، المعجم الاشتقاقي: (ملي).
(4) ابن فارس، المقاييس: (مهل)، والرّاغب، المفردات، وجبل، المعجم الاشتقاقي: (مهل).

وقدِ اختارَ النَّظمُ الكريمُ لفظةَ ﴿وَأُمْلِي﴾؛ لأنّها تدلُّ على الزّمنِ الطّويلِ، يقال: وأقام مَلِيًّا: أي دهرًا طويلًا، والملاوَةُ منَ الدّهرِ وهي الحينُ، والإملاءُ: الإمهالُ والتّأخيرُ وإطالةُ العُمرِ[1]، كما أنّها بذلك أنسبُ لِسُنّةِ الاستدراجِ التي تقومُ على الزّمن الطّويلِ، أمّا الإمهالُ فإنّه وإن كان فيه التّراخِي إلا أنَّ الزّمنَ قد يكونُ طويلًا أو قصيرًا، كما أنّ فيه إنظارًا برِفْقٍ، وهذا لا يتناسبُ مع السّياقِ الذي هو سِياقُ تهديدٍ للمُصرِّين على الكُفْرِ الملْحِدين في أسماء اللّه.

(1) ابن فارس، المقاييس: (ملي)، والرّاغب، المفردات، وجبل، المعجم الاشتقاقي: (ملي).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الخامس عشر، سورة الأعراف من الآية 164 إلى سورة الأنفال الآية 26
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الخامس عشر، سورة الأعراف من الآية 164 إلى سورة الأنفال الآية 26
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 15 ، 812 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-11-1
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 15 : المجلد الخامس عشر، سورة الأعراف من الآية 164 إلى سورة الأنفال الآية 26.
-1القرآن - تفاسير نحوية -2 القرآن، بديع -3 القرآن، بلاغة -4 القرآن - سور وآيات -5 القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-768-11-1
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-7668393 بتاريخ 2024/01/16م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»